هوامش

يعتاش جميع رجال إحدى المناطق في غرينلاند من الصيد؛ إذ يصطادون الفقمات ليأكلوها، بينما يبيعون جلودها، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الدببة. لكنّ التغيّر المناخي يهدّد عملهم وحيواتهم

هيلمر هاميكين شاهد على التأثير البطيء للتغير المناخي في القطب الشمالي (أوليفر مورين/ فرانس برس)

الصيد في غرينلاند

بانتظار أن ترفع الفقمة رأسها

باختصار

فُرضت قيود على أعداد الدببة القطبية المسموح بصيدها للحدّ من انخفاض أعدادها، وحُدد العدد بـ35 دبّاً لعام 2024

■■■

في أغسطس، ستكون كل الطبقة الجليدية قد ذابت ولن يبقى سوى البحر، ما يصعّب اصطياد الفقمات أو كركدن البحر

■■■

يصل سعر جلد الدب إلى ألفي يورو، بينما يبلغ سعر جلد الفقمة 40 يورو كحد أقصى، وهو سعر أقل بنحو النصف من ذلك الذي كان مُعتمداً

يرصد هيلمر هاميكين فوق الطبقة الجليدية فقمة حلقية قرب ثقب جليدي، فيتقدّم ببطء فوق الجليد، مرتدياً ملابس بيضاء، ثم يستلقي وينتظر. عندما يُصدر أصواتاً برجليه، ترفع الفقمة رأسها، فيطلق النار. وفي هذا المنظر الأشبه بسطح القمر، يُقَطّع هيلمر الحيوان فوراً ويتناول قطعة نيئة من الكبد؛ مكافأة الصياد. هذا المشهد عادي على جانب إيتوكورتورميت، قرب مضيق سكورسبي، أكبر مضيق بحري في العالم على الساحل الشرقي لغرينلاند، على أطراف القطب الشمالي. في هذه البلدة التي تضم 350 نسمة وتتميز بمنازلها الملوّنة، يمارس جميع الرجال الصيد: يصطادون الدببة إذا كانوا محترفين، والفقمات أو كركدن البحر أو ثور المسك إذا كانوا من الهواة. فالصيد من أسلوب حياة القدماء ويتوارثونه من جيل إلى آخر.

ولكن منذ عشرين سنة، يعرّض التغير المناخي وتقييد الأعداد المسموح بصيدها، تقليداً تعتاش منه عائلات الإنويت إلى الخطر تدريجياً. ولتصوير حياتهم اليومية، عاش صحافي ومصوّر يعملان في وكالة فرانس برس لأيام عدة في نهاية إبريل/ نيسان مع صيادين محترفين من إيتوكورتورميت. هيلمر هاميكين (66 عاماً)، شاهد على التغير المناخي. عندما يصل بواسطة زلاجة تجرّها الكلاب على طبقة جليدية على حافة المحيط، يُعامَل هيلمر باحترام. إنه أكبر صياد للدببة القطبية في غرينلاند، إذ قتل 319 دبّاً خلال السنوات الخمسين الفائتة، سبعة منها هذا العام. تعود شهرة هيلمر إلى ثمانينيات القرن العشرين حين كان يذهب بمفرده عبر الأنهر الجليدية في المضيق البحري، مع كلابه وخيمة وبعض الإمدادات، وكان يصطاد ما يصل إلى ثلاثة دببة في نهاية رحلة استكشافية تستمر أسابيع عدة. كانت تلك المرحلة العصر الذهبي للصيادين المحترفين، حين كانت جلود الدببة تُباع في الخارج. في عام 2005، فُرضت قيود على أعداد الدببة القطبية المسموح بصيدها للحدّ من انخفاض أعدادها، وحُدد العدد بـ35 دبّاً لعام 2024، لكن الحصة الإجمالية استُنفدت حتى نهاية إبريل، ولهذا السبب كان هيلمر يصطاد الفقمات في ذلك اليوم، إذ لا يخضع صيد هذا النوع من الحيوانات لقيود على الأعداد. ومنذ بداية القرن، كان هيلمر هاميكين شاهداً على التأثير البطيء للتغير المناخي في القطب الشمالي الذي يشهد احتراراً أسرع بأربع مرات من المتوسط العالمي. يقول هيلمر: «في السابق، كان بإمكاننا الصيد طوال السنة»، مضيفاً: «كان الجليد خلال الشتاء أكثر صلابة (...) ولم يكن المضيق البحري يذوب مطلقاً. أما اليوم، فباتت الطبقة الجليدية أرقّ وأقل تمدداً، وأصبح المضيق مفتوحاً من منتصف يوليو/ تموز إلى أوائل سبتمبر/ أيلول».

يتابع: «في أغسطس/ آب، ستكون كل الطبقة الجليدية قد ذابت ولن يبقى سوى البحر، بحر هائج»، ما يصعّب اصطياد الفقمات أو كركدن البحر (الخاضعة أيضا لقيود على الأعداد المسموح بصيدها).

أما الدببة القطبية التي تصطاد على الطبقة الجليدية، فيتساءل هيلمر عمّا ستفعله للصمود. ومن المؤكّد أنّ هذه الحيوانات ستهاجر شمالاً في المستقبل، بحسب الباحثين. يقول هيلمر: «ماذا سيحدث خلال السنوات الخمسين المقبلة؟»، مضيفاً: «الصيد أمر أساسي لاستمرارنا، ونحن بحاجة إليه لنعتاش. إنه مهم للقرية ولمستقبلنا». مارتن مادسن (28 سنة)، هو أيضاً أحد الصيادين المحترفين العشرة في إيتوكورتورميت. وهؤلاء الصيادون هم الوحيدون المسموح لهم باصطياد الدببة القطبية. ويُمنح لقب المحترف لمَن يعتاش كلياً من الصيد. يقول مادسن: «أمارس الصيد منذ أن كنت طفلاً. لقد نشأتُ بين صيادين، فوالدي وجدّي يمارسان هذا النشاط». ومنذ العصر الذهبي الذي شهده كبار السنّ في عائلته، تغيرت ظروف الصياد المحترف. يقول مارتن: «لم يعد هناك الكثير لاصطياده في المرحلة الراهنة»، مضيفاً: «الأعداد المسموح صيدها غير مقبولة». يصل سعر جلد الدب الذي لا يُباع إلا في غرينلاند منذ صدور حظر فرضه الاتحاد الأوروبي عام 2008، إلى ألفي يورو، بينما يبلغ سعر جلد الفقمة 40 يورو كحد أقصى، وهو سعر أقل بنحو النصف من ذلك الذي كان مُعتمداً قبل فرض حظر ألغي أخيراً للإنويت.

داخل منزلهما، تُعدّ شريكة حياة مارتن، شارلوت بايك، حساءً من لحم الدب القطبي مع الطماطم والجزر والبصل والكاري الأحمر. تقول هذه المرأة الأربعينية إنّ «الحياة صعبة جداً (...) فالصيد يحقق لنا دخلاً قليلاً». ويأمل مارتن، الذي لم يرتد المدرسة مطلقاً، ألا يصبح ابنهما نواه البالغ من العمر ثماني سنوات صيّاداً.

(فرانس برس)

وأخيراً

يوم واحد هو حكاياتنا البسيطة

رشا عمران

يحكي المسلسل البريطاني «one day» (قُدّمت القصة فيلماً في عام 2011) الذي يعرض حاليا على منصّة نتفليكس قصة الصديقين، إيما مورلي وديكستر مايهيو (يلعب دوريهما أمبيكا مود وليو وودال) اللذين يلتقيان أول مرّة في حفل التخرّج من الجامعة وينجذبان إلى بعضهما بعضاً، ويذهبان لقضاء الليلة معا، لكنهما يفضلان أن يبقيا صديقين مدى الحياة، ويتّفقان على اللقاء سنويا في اليوم. وفعلا يلتقيان كل عام في الموعد نفسه، ويتبادلان معا قصص حياتهما وما مرّ مع كل منهما من أحداثٍ مهمّة وسخيفة، وفي كل مرّةٍ يلتقيان يشعران بالانجذاب الأول نفسه، لكنهما مع ذلك يفضّلان أن يبقيا صديقين، فإيما تدرك أن ديكستر، الشاب الوسيم ابن العائلة الثرية، ليس جاهزاً لإقامة علاقة جدية طويلة، وديكستر يخاف أن يفقد إيما الشابّة المثقفة والثورية ذات الأصول الهندية والقادمة من بيئة متواضعة، لو دخلا في علاقة غرامية، فهو يعرف أنه ضعيف تجاه النساء وسيخونها في أقرب وقت.

مع ذلك لم يتمكّنا اثناهما من نسيان بعضهما بعضاً، رغم دخولهما في علاقاتٍ أخرى، وزواج ديكستر وإنجابه طفلة وطلاقه السريع. ورغم أن إيما دخلت في علاقات طويلة، إلا أن العاطفة التي يحتفظان بها كل في داخله تنتصر في النهاية على القرار العقلاني الذي اتخذاه ذات يوم فيتزوجان، لينتهي المسلسل بموت إيما في حادثة سير سخيفة. وكأن صنّاع العمل قرّروا هذا الحل الدرامي، كي يتجنّب ديكستر العودة إلى عادته في الخيانة وإيذاء إيما. وهكذا بموت إيما تبقى نهاية ديكستر مفتوحة أمام خيال المشاهد. هل سيعاود مسيرته في العلاقات القصيرة أم سيعيش على ذكراها برفقة ابنته من زواج سابق فاشل؟ لن نعرف هذا أبداً، وليس مطلوباً أن نعرف. بالنسبة للمشاهد ينتهي العمل بموت إيما.

ينتمي العمل إلى النوع الرومانسي الخفيف، ويطرح أسئلةً كثيرة عن العلاقات البشرية، فديكستر الذي وجد كل شيء أمامه بسهولة بفضل والديه، ويبحث عن الشهرة بأسرع الطرق، ويغرق في إدمان الكحول والمخدّرات، سرعان ما يفقد كل شيء، بما في ذلك والدته التي كانت داعمة أولى له، تُصاب بالسرطان، ويتهرّب هو من رؤيتها والعناية بها في مرضها، ليعيش حياته تحت ضغط الإحساس بالذنب لما فعله، بينما تخطو إيما خطواتها نحو ما تريده لحياتها بهدوء، وتعاني من الفقر والفشل لتحقّق ما كانت تصبو إليه في النهاية، فتصبح كاتبة قصص أطفال مشهورة.

هذه كلها أفكار نمطية في الدراما الرومانسية التي قدّمت في كل العالم، لكنها مع ذلك تبدو شديدة الشبه بنا، بحكاية كلٍّ منّا مع نفسه ومع الآخرين، فنحن جميعا نملك حكاية من الحكايات التي قدّمها لنا المسلسل، حكاياتنا نحن البشر العاديين، حكاياتنا مع الحب والصداقة والفشل والنجاح والتعب والخوف والضمير والتحقّق والفقد والهوية والأفكار والقناعات والقرارات والمرض والموت والخسارة والربح والماضي والمستقبل والحاضر بكل تفاصيله التافهة والمهمّة والأسئلة الصغيرة والأخرى الوجودية؛ حكايات قد تبدو بالغة التفاهة أمام الأحداث المفصلية الكبرى التي تشكّل التاريخ وتكونه، لكن التاريخ بدون تفاصيل يومية لحياة البشر تحتمل الكذب والصدق، سيتحوّل إلى تاريخ ميت بعد حين. أما حكايات البشر ومكابداتهم فهي تفاصيل حيّة مثلهم، وهي التي تعطي للزمن قيمته. وبالنسبة لي، أفضل هذا النوع من الدراما، الدراما التي بلا بطولات وبلا أبطال، دراما الناس العادية بحكاياتها العادية اليومية التي تصنع حياة بأكملها.

> حكايات البشر ومكابداتهم هي تفاصيل حيّة مثلهم، وهي التي تعطي للزمن قيمته

قد يبدو أن السؤال الرئيسي في المسلسل هو سؤال الصداقة والحبّ، أيهما أهم وأيهما أكثر ديمومة؟ وهل يمكن أن تتحوّل الصداقة إلى حب حقيقي أم أن لحظة اللقاء الأولى هي التي تحدّد شكل العلاقة اللاحق مهما تم اتخاذه من قرارات بشأنها، خصوصا وأن مرحلة المسلسل من 1987 حتى 2007؟ وهذا سؤالٌ كان مطروحاً حقّاً لدى جيلنا في ذلك الوقت، ثم تجاوزته الأجيال الحالية التي لم تعد مشغولةً بأسئلة كهذه مع الانفتاح المهول في الخيارات الجنسية الشخصية. هذا السؤال هو الخيط الذي يُمسك المسلسل بينما تتفرّع منه خيوط أقوى لسرد حكايات أخرى قد تكون أكثر عمقاً وإنسانيةً وتأثيراً على المسارات الشخصية للأفراد وعلاقاتهم بالآخرين.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**